د. أحمد محمد نور إبراهيم (*)

مقدمة

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فهذا بحث في (لا إلهَ إلا اللهُ) الكلمة التي شهد لها الله والملائكة وأولوا العلم، ودان لها مَن في السموات ومَن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، ومن أجلها خلقت الجنة والنار، ووضع الكتاب والميزان والصراط.

التزم بها الأولون فباعوا من أجلها الأرواح والأموال وخرجوا من أجلها مجاهدين، ففتحوا البلاد، ونشروا الدين، ورسخوا لا إله إلا الله، عقيدة وشريعة ومعاملات وعبادات فخضعت لهم الدنيا، وذهبت أمام عزائمهم ممالك وأمم وعقائد جاهلية فاسدة. وتبدل الحال، وذهب بريق لا إله إلا الله في بعض النفوس، وأصبح المستمسكون بها مطاردين في كل مكان باعتبارهم إرهابيين، بعد أن شاعت هذه الكلمة حين استقوى اليهود واستأسد النصارى، وسيطروا علي بعض بلاد المسلمين وأخافوا بعض حكامها وأطاحوا بآخرين فخاف الناس واستسلموا لهم، فعاثوا في الأرض المسلمة الفساد، واستهزؤوا بالدين والأمة المسلمة وبرسولها وبمقدساتها وأصبحنا (غثاء كغثاء السيل ...)[1] –الحديث- في هذا البحث القليل، في تلك الكلمة العظيمة تذكرة بمكانة لا إله إلا الله وأثرها وتأثيرها، آمل أن ينفث الله في نفس مسلم مخلص يقرأها روحاً تسري في الأمة فتوقظها من سباتها، وتذكرها بماضيها، وتعلمها مسئوليتها وحاضرها، وتعرفها مستقبلها. حتى تستقيم الأمور ويسود الحق ويذهب الباطل، فهي كلمة من استمسك بها سلم ومن قال بها صدق، ومن جاهد في سبيلها انتصر.

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم – كلية الدراسات الإسلامية والعربيّة بدبي (سابقاً) .

(١) مسند الإمام احمد ج٣٧٨/٤٥

والله تعالى وعد أن يرث الأرض العباد الصالحون، فعسى أن نكون من هؤلاء الصالحين، صدقاً في العقيدة، ورسوخاً في الإيمان وليس ذلك على الله بعزيز.

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وستة مباحث يتضمنها مطالب وخاتمة، فجاء كما يلي:

المبحث الأول: الكلمة الطيبة مباحث لغوية

المبحث الثاني: الكلمة الطيبة في القرآن علماً وشهوداً ورسالة للبشرية

المبحث الثالث: أثر الكلمة الطيبة في إبراهيم وعقبه

المبحث الرابع: الكلمة الطيبة في وعود النبي ρ.

المبحث الخامس: مآل من قال لا إله إلا الله

المبحث السادس: مآل من خالف لا إله إلا الله

المبحث الأول
الكلمة الطيبة في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول:

قال تعالى: چ ى ى ي ي چ [1].

الكلمة لغة: قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد (كاستقم) واسم وفعل ثم حرف الكلم

والمعنى: (اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها) وفائدة يحسن السكوت عليها أخرج الكلمة، وبعض الكلم وهو مركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه نحو (إن قام زيد). وقول المصنف (استقم) فإنه كلام مركب من فعل أمر وفاعل مستتر والتقدير(استقم أنت) فكأنه قال: (الكلام هو اللفظ المفيد فائدة كفائدة استقم)[2].

اصطلاحًا: قال ابن عباس (هي شهادة أن لا إله إلا الله) من قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة)[3].

تشبيهاً بلاغياً: المشبه: الكلمة الطيبة. المشبه به: الشجرة الطيبة (النخلة). أداة التشبيه: الكاف. وجه الشبه:

يقول ابن القيم: (شبه سبحانه الكلمة الطيبة، بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ....والكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، وكل عمل صالح مُرضٍ تعالى ثمرة هذه الكلمة. قال ابن عباس: (أصلها ثابت، قول لا إله إلا الله من قلب المؤمن، وفرعها في السماء: يرفع بها عمل المؤمن إلي السماء)[4].وقال الربيع بن أنس: (كلمة طيبة هذا مَثَلُ الإيمان،

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٢٤)

(٢) شرح ابن عقيل ج ١٣/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٥٣٠/٢.

(٤) الطبري ج٣٠٢/١٣

والإيمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعها في السماء خشية الله)[1].[2]}

المطلب الثاني: التشبيه النبوي للكلمة الطيبة

روى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ρ قال: (**أخبروني بشجرة – تشبه – أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا[3] ولا ولا صيفاً ولا شتاء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؟**) قال ابن عمر، فوقع في نفسي أنها النخلة، فرأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم فقال رسول الله ρ (هي النخلة). فلما قمنا قلت لأبي: يا أبتاه والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة. قال: وما منعك أن تتكلم؟. قلت: لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: (لئن تكون قلتها أحب من كذا وكذا)[4].

وروى االبخاري عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر إلي المدينة، فما سمعته يحدث عن رسول الله ρ إلا حديثاً واحداً. قال: كنا عند رسول الله ρ فقال: (من الشجر شجرة مَثَلُهَا مَثَلُ الرجل المسلم). فأردت أن أقول هي النخلة، فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله ρ: (هي النخلة)[5].

والنخلة ينتفع بكل شيء فيها، من جريدها وسعفها وعرجونها وساقها وعشميقها حتى ظلها وثمرها.

روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال ناس من فقراء المسلمين قالوا يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يتصدقون ولا نتصدق، وينفقون ولا ننفق قال: (أفرأيتم لو كل مال الدنيا وضع بعضه علي بعض أكان بالغاً السماء؟) قالوا: لا يا رسول الله قال: (ألا أخبركم بشيء أصله في الأرض

---

(١) البغوي ج ٤/ ٢٠٣

(٢) الأمثال لابن القيم ص٢٢٨

(٣) ولا ولا ولا تكرار ولا أشار الرسول ρ إلي ثلاث صفات لم يذكرها الراوي وهي ولا ينقطع ثمرها، ولا يتأخر عن وقته، ولا يبطل فيئها.

(٤) صحيح البخاري ج ١٧٣٥/٤حديث رقم ٤٤٢١.

(٥) المصدر نفسه

وفرعه في السماء؟ أن تقولوا في دبر كل صلاة لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد عشر مرات فإن أصلها في الأرض وفرعها في السماء)[1].

(١) مصنف عبد الرزاق ج ٢٣٣/٢ حديث رقم ٣١٨٨.

المبحث الثاني
لا إله إلا الله
تعريف، وعلم، وشهود، ورسالة

المطلب الأول: العلم بلا إله إلا الله.

قال تعالى معرفا نفسه لموسى υ: چپ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[1]

فالمولى قدم نفسه تعالى لعبده موسى υ فقال:إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إلا أَنَا.

فلذا وجه عبادتك لي، وأقم الصلاة. دليل الإيمان والاستسلام للمولى Y، وأكَّد قيام الساعة ومجيئها فجأةً... وهذا أول لقاء مع موسى عرفه بذاته وأمره بعبادته وأكد قيام الساعة للجزاء للمحسنين وعذاب المسيئين. چ

چ[2].

جعل الله تعالى (لا إله إلا الله) علماً يُدرَسُ، ويُتَعَرَّفُ عليه عن طريق الدلائل والبراهين والآيات، لا عن طريق الظن والخرص والتخمين؛ لهذا بثَّ هذا العلم في كتابه الكريم تعريفاً بذاته، أسماءً وصفاتٍ. وبثه في كونه آيات ودلائل وبراهين فقال، من الأسماء والصفات رداً على الذين سألوا النبي ρ: أبعيد ربنا فنناديه أم قريب فنناجيه؟. فأجاب سبحانه: چ

چ[3].

وقال تعالى، معرفاً ذاته: چأ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ چ[4] وقال: چگ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ[5]، وقال: چڈ ڈ ژ

(١) سورة طه الآيات (١٤-١٥).

(٢) سورة محمد الآية (٢)

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٦)

(١) سورة الإخلاص الآية (١-٤)

(٢) سورة الحشر الآيات (٢٢-٢٤)

ﮤ ﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ
ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[1].

فهو الإله الحق، والمعبود بحق، والذي لا معبود سواه، وهو الحي الذي لا يموت ... الدائم البقاء فلا يغيب ولا يفنى، القيوم القائم بأمر الكون والعباد .. فيعطي هذا ويمنع هذا ويحيي هذا ويميت هذا ويغني هذا ويفقر هذا.

ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﭼ فلا يغيب ولا يغفل، لا بسنة خفيفة من النوم ولا بنوم عميق.

ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ له –ملكاً وتصرفاً - ما في السموات من أفلاك ونجوم وشموس وأقمار وملائكة وغازات وغيرها، وله ما في الأرض من جبال ورمال وذرات وأشجار وأنهار وبحار ودواب وبشر ومزروعات وما داخل الأنهار والبحار والجبال وما في باطن الأرض من أشياء.

ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﭼ فالشفاعة هي الوساطة التي يأذن الله تعالى بها لأهل الإيمان ليشفعوا لإخوانهم المؤمنين ممن وقع في بعض المعاصي والذنوب فيما بينهم وبين ربهم، لمكانتهم عند الله فيأذن لهم ليشفعوا ويتقبل منهم ما قالوا فيعفوا عمّن شفعوا فيه فلا شافع إلا مؤمن، ولا شفاعة إلا بإذن من الله، ولا شفيع إلا والله راضٍ عن المشفوع له.

ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﭼ خلقه الذين خلقهم، مكشوفون أمامه يعلم ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ويعلم ما يسرون وما يكنون في الصدور. أما هم فلا يحيطون بشيء من علمه إلا بالمقدار الذي أذن به، فعلّمه رسله أو أحداً من خلقه، وأراده أن يعرف وينتشر.

ﭽ ﭼ السموات السبع والأرضون السبع إذا وضعت في كرسي الرحمن كن كخاتم ألقي في فلاة، فالكرسي يسعهما ويفيض.

ﭽ ﯞ ﭼ لا يتعبه حفظهما وبما فيهما من خلق، كما لم يَعْيَ بخلقهن حين خلقهن، كذلك لا يتعب بحفظهما.

ﭽ ﯪ ﯫﭼ وهو العلي مكانة ومنزلة ومقاماً، والعظيم قدراً منزلة

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٢٥)

ومقاماً، والعظيم حفظاً وخلقاً، وإبداعاً.

منزلة آية الكرسي :

أخرج مسلم لسنده عن أبي كعب قال: قال رسول الله ρ: (أبا المنذر أي آية من كتاب الله أعظم؟) قلت: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ قال: فضرب في صدري وقال: (ليهنك العلم). ثم قال: (والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش)[1]. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ρ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت جعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلي رسول الله ρقال: إني محتاج وعَليَّ عيال ولى حاجة شديدة. فخليت سبيله. فأصبحت فقال رسول الله ρ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما أنه كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ρ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلي رسول الله ρ قال: دعني فإني محتاج وعَليَّ عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله. فأصبحت فقال لي رسول الله ρ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟) قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ρ: (أما أنه كذبك وسيعود) فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلي رسول الله ρ، وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود فتعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلي فراشك فأقرأ آية الكرسي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ حتى تختم الآية، فإنك لن تزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ρ (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال (ما هي؟) قلت: قال لي إذا أويت إلي فراشك فأقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس علي الخير فقال النبي ρ (أما أنه صدقك وهو كذوب،

(١) مسلم ١٥٦/١ حديث رقم ٨١٠.

تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟) قلت: لا قال: (ذاك شيطان)[١].

وقال تعالى معرفاً ذاته بالدلائل والبراهين: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ[٢].

هذه براهين قدرته ودلائل وجوده وعظمته، يعرضها للناس ليعلموا أنه الإله الحق ويعبدوه على علم، فيعرض السموات والأرض والمطر النازل من السماء وإنبات الحدائق البهيجة، والأرض المستقرة المرساة بالجبال وجريان البحار والأنهار، وإجابة سؤال المضطر وكشف السوء عنه والسير في الليل، حتى لا يتيه الناس في البر والبحر جعل لهم من الدلائل ما يعرفون اتجاهاتهم، وإرسال الرياح في مقدمة الغيث، وبدء الخلق وإعادته من جديد كلها دلائل الله للعباد، فيها بعد دليل سؤال: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ، حتى لا يبقى للعباد شكّ في الله وألوهيّته، ويمضي ليزيدنا علمًا فيقول: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ[٣].

تلك براهين وأدلة أخرى يعرضها ويقول في مقدمة كل برهان: ومن آياته، ويختمها فيقول إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ... ثم زادنا من البراهين والأدلة والآيات إذ قال تعالى:

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ

(١) صحيح البخاري: حديث رقم (٥٠١٠).

(٢) سورة النمل الآيات (٦٠-٦٥)

(٣) سورة الروم الآيات(٢٠-٢٧)

ڈ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں
ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ
ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ
چ[1].

المني الذي يخلق منه الإنسان والذي يقذفه الرجل ويمضي مَنْ خلق منه الإنسان؟ .. ومن قدَّر له العمر والرزق والعمل؟ وشقيّ أم سعيد؟. والزرع الذي ينتفع به الإنسان ليعيش منه، والحيوان من أوجده وهيأ له ظروف خروجه وإنتاجه وانتفاع الإنسان به؟. والماء الذي يشربه الإنسان والحيوان والزرع والذي جاء من الله تعالى عذباً فراتاً مَنْ شارك الله في إيجاده؟ فقد أخرجه الله من ماءٍ ملحٍ أجاج، وساقه سحابًا، وأنزله عذبًا. والنار التي ينتفع بها الإنسان في طبخه وتدفئته وهو خارج من شجرة خضراء رطبة والنار لا توجد في العود الرطب، من شارك الله في هذه القدرة وجعل لهذه الشجرة خاصية أن تنتج النار مع خضرتها هل شارك الله أحد في ذلك؟

براهين عقلية يسوقها المولى لعباده ليعرفوه من خلال خلقه وقدرته المبثوثة في الكون. فهل من عاقل متدبر؟ انتفع بما وهبه الله من أدوات العلم: العقل والعين والسمع واللسان؛ ليرتفع؟.

المطلب الثاني: الشهود أن لا إله إلا الله شهادة الله :

قال تعالى: چٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ چ چ چ چ چ[2].

يقول ابن فارس[3]: شهد: (يدل على حضور وعلم وإعلام)[4]. فلعظمة لا إله إلا الله شهد الله تعالى لها. وشهادة الله تعالى لا تحتاج لتزكية ولا إلى مزيد من الشهود فهو وحده – سبحانه- تعلو شهادته على كل شهادة وشاهد وهو الحق الذي يبدئ الخلق والذي أقام الكون كله على الحق. والله شهد أنه لا إله إلا هو

(١) سورة الواقعة الآيات (٥٨-٧٤)

(٢) سورة آل عمران الآية (١٨).

(٣) أحمد بن فارس بن زكريا ولد بكراسف ومات بالري ٣٨٥هـ

(٤) معجم مقاييس اللغة ج ٧٣/٣

أي لا معبود بحق إلا الله تعالى في هذا الكون، وكل دعوى بوجود إله آخر باطلة، ومن ادعاها عليه غضب من الله وعقاب. ولا يستطيع إثباتها ولا يدلل عليها. والله تعالى بين أنه هو الإله الحق ليعبده أهل السموات ويعبده أهل الأرض قال تعالى: چ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ [1].

وشهد الله تعالى داعماً رسوله عندما بث دعوة التوحيد في قريش فأبوها وأنكروا رسالته فقال: چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ چ [2] ؟ من هو العظيم الذي أجعله شهيداً بيني وبينكم لتؤمنوا أني مرسل إليكم من عند الله؟ وجاء الجواب من الله تعالى: چ پ پ پ ڀ ڀ چ. فا هو العظيم هو الكبير المتعال يشهد لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه مرسل من عنده چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ چ فا أرسله ومعه هذا القرآن لينذر من كفر با ولم يؤمن به ولا برسوله ولا بكتابه ولا باليوم الآخر، ينذره بالعذاب والعقاب يوم القيامة بعد أن بين الكتاب كل الدلائل والبراهين على وجوده وقدرته ووحدانيته وأن محمداً ε مرسل من عنده والكتاب مبيناً لما شرع .. فالكتاب للإنذار چ و ڈ ڈ چ من بلغه أن محمداً رسول من عند الله ولم يؤمن فالإنذار يشمله من بداية الرسالة إلى قيام الساعة. ويقول لهـ م: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ چ چ چ چ چ چ چ.

هذه هي الشهادة تتكرر مرة أخرى بأن الإله واحد وكل من ادَّعى إلهاً آخر ادَّعى باطلاً وشهادته غير مقبولة، ومردودة لأنها على باطل فالنبي ρ وسط قريش يدعوهم إلى الله ويعلن أن الإله واحد وكل دعوة قامت على وجود إله غيره باطلة أعلنها في قريش ورفضوها وعادَوا رسول الله ρ، وعذّبوا المؤمنين واضطروهم إلى الهجرة وقاتلوا المؤمنين وانهزموا وبقيت لا إله إلا الله شامخة قوية وخضعت لها قريش وغيرها بعد دماء وأشلاء وشهداء ولم ينصرهم صنم ولم ينفعهم إله مزعوم وذهبوا مهزومين كما أخبرهم تعالى قبل سنوات من وقوع المعركة فقال: [چ چ [3].

---

(١) سورة الزخرف الآية (٨٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٩)

(٣) سورة القمر الآية (٤٥)

شهادة الملائكة

زعم كفار قريش أن الملائكة بنات الله ولدهم من الجن.

قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک چ[1].

فقد رفع منزلتهم وأعلى قدرهم فقال بل عباد مكرمون فا تعالى يكرمهم والعباد كذلك، فهم لا يسبقونه بفعل شيء من تلقاء أنفسهم، بل يفعلون ما يأمرهم به. والله عالم بكل شيء عنهم من قبل خلقهم ومن بعد خلقهم، فهم لا يشفعون إلا لمن علموا أن الله يقبل الشفاعة فيه، وهم يخافون الله خوفاً شديداً ومن ادعى منهم الألوهية وزعم أنه إله فنار جهنم مصيره. هؤلاء الأطهار شهدوا شهادة معرفةٍ أن الإله واحد هو الله تعالى وأي إله آخر مدعى باطل لا أصل له.

تلك شهادة الملائكة:

وليس هذا وحده ما شهد به الملائكة، فا تعالى شهد لرسول الله ρ بأنه هو الذي أنزل عليه الكتاب وكذلك الملائكة يشهدون. قال تعالى: چ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں چ[2]. فشهد الله تعالى والملائكة بوحدانية الإله ثم شهد الملائكة إنزال الكتاب على محمد ρ، وكلها شهادة إلمام ويقين ومعرفة، فهم أعلم با ، هم حملة عرشه وهم منفذو أوامره، وهم الذين سبق خلقهم خلق الإنس والجن وكانوا العالمين بأحوالهم فشهادتهم شهادة حضور وعلم وإعلام.

شهادة أولي العلم

أولوا العلم لهم مكانة عند الله تعالى، فقد رفع درجتهم ومنزلتهم وقال تعالى: چ ى ى ي ي چ[3].

---

(١) سورة الأنبياء الآيات (٢٦-٢٩)

(٢) سورة النساء الآية (٦٦)

(٣) سورة المجادلة الآية (١١)

وقال مستشهداً بعبد الله بن سلام-اليهودي الذي أسلم، وكان حبراً من حفظة التوراة أسلم لما جاء النبي ρ مهاجراً إلى المدينة فرأى وصفه الذي في كتبهم مطابقًا لشخص النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، ولما أنكر الكفار رسالة النبي ρ قال الله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[1]. وهو عبد الله بن سلام فكان إسلامه شهادة أن النبي ρ مرسل من الله لأن العلم به وبأوصافه كان عنده من عهد موسى υ ومن بعده بعهد عيسى فقد وصفه في كتبهم وأخبرهم به. فلما ظهر آمن بعض اليهود وكفر البعض فكان عبد الله ممن آمن.

والعلم نعمة منَّ الله بها على كثير من خلقه خاصة أنبياءه ورسله فقد زودهم بالعلم فقال عن يوسف عليه السلام: چ ى ى ي چ[2]. وقال عن داود وسليمان: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ[3]. وآتى موسى علماً فقال: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ چ[4]. هذه هي النعمة نعمة العلم، (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[5] كما جاء في الحديث. وأولوا العلم شهدوا كذلك أن القرآن المنزل على رسول الله ρ منزل من عند الله لا من عند البشر، فهم صفوة البشر وهم عاجزون عن الإتيان بمثله فمن باب أولى الأقل منهم علماً أعجز قال تعالى: چ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ چ[6].

وشهد أولوا العلم مع الله تعالى وملائكته أن الإله واحد هو الله المعبود بالحق، ومن ادعى إلهاً غيره فقد افترى فجاءت شهادتهم مع شهادة الله وشهادة الملائكة، قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ

(١) سورة الرعد الآية (٤٣)

(٢) سورة يوسف الآية (٢٢) .

(٣) سورة النمل الآية (١٥) .

(٤) سورة القصص الآية (١٤) .

(٥) موطأ مالك ج ٣٧٧/٥

(٦) سورة سبأ الآية (٦)

چ چ چ چ [1].

فما بقي لأهل الكفر من باب ينفذون منه، فإما الإيمان وإما الكفر والعذاب.

المطلب الثالث: لا إله إلا الله رسالة إلى البشرية

قال تعالى: چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ [2]. هذه هي الرسالة التي حملها كل رسول إلى أمته يدعوها إلى عبادة الله الإله الحق، وترك عبادة ما سواه من الأصنام والأشخاص والأشياء. وهو الوعد الذي قاله الله تعالى لآدم وحواء وإبليس عندما أهبطوا إلى الأرض: چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [3].

قال نوح υ وهو يقدمها لقومه: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ [4].

ثم من بعده هود υ إلى قومه عاد فقال: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى چ [5].

وجاء من بعده صالح υ ليقول لثمود فقال: چ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ [6].

وكل الرسل حتى جاء محمد ρ في آخرهم فقال: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ [7].

(١) سورة آل عمران (١٨)

(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٥)

(٣) سورة البقرة الآيات (٣٨-٣٩)

(٤) سورة الأعراف الآية (٥٩)

(٥) سورة الأعراف الآية (٦٥) .

(٦)سورة الأعراف الآية (٧٣) .

ﯞ ﯟ ﯠ ﭽ [1].

لقد عمت كلمة لا إله إلاّ الله كل الأرض وملأت الأزمان والآحاد، ولم يبق مكان إلا وصلته وقامت الحجة على الناس.

وقال تعالى لنبيه أن يبلغ الناس فيقول: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [2].

فمن سمع بالنبي ρ وسمع بالقرآن ولم يؤمن فقد قامت عليه الحجة، ولا عذر له عند الله أن لم يؤمن.

وتأكيداً لهذا المعنى ووصول الرسالة إلى كافة أهل الأرض قال رسول الله ρ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاّ أدخله الله في هذا الدّين بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ، عزًّا يعزّ الله به الإسلام، وذلاً يُذلّ به الكفر)[3]. وبلغ الأمر أرجاء الأرض الآن واتسعت رقعة الإسلام، وكل يوم ينقصها من أطرافها بزيادة المسلمين وزيادة الرقعة المسلمة.. حتى تقوم الساعة والإسلام قوي متين رغم محاولات إطفائه من بعض الجهات ووعد الله تعالى أن يعليه فوق كل دين، وأن ينصره على كل مناوئ ومعارض ومحارب.

المبحث الثالث

الكلمة الطيبة في وعود النبي ρ

قال ρ لعمه ولكفار قريش: (يا عم، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم)[4]. وقال لعمه: (قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند عند الله)[5]. وقال بسوق ذي المجاز: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[1]. وقال:

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٨) .

(٢) سورة االأنعام الآية (١٩) .

(٣) مسند الإمام أحمد: ٣٠٨/٣٤ حديث رقم (١٦٣٤٤).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ج ١٢٤/٢

(٥) صحيح البخاري ج ١٤٠٩/٣ حديث رقم ٣٦٧١

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها)(٢).

المطلب الأول: تملكون بها العرب

في بداية السنة الرابعة من الهجرة نزل على رسول الله ρ قول الله تعالى: چ چ چ چ[٣]. بعد مضي ثلاث سنوات والدعوة سرية، فصعد الصفا ونادى: يا بني فِهر يا بني عدي حتى اجتمعوا إليه فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟. فنزلت چڈ ڈ ژ ژ ڑچ[٤].

ثم نزل عليه قوله تعالى: چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤچ[٥]. فجمعهم ودعاهم إلى الله، وما أن قال: إن الأصنام لا تنفع ولا تضر حتى ازدادت وتيرة الخصومة التي بدأها عمه أبو لهب، وأصبحت ملاسنة وسخرية واحتقاراً ثم شكوى لعمه ثم حصاراً اقتصادياً، ثم تعذيباً وقتلاً، مما اضطر المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة، ثم اجتمعوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأذن الله له في الهجرة إلى المدينة، لكن الهجرة لم توقف التهديد لا إلى المسلمين ولا إلى سكان المدينة لأنهم آووا المسلمين أعداء قريش، فما بات المسلمون إلا في السلاح، وبات النبي محروساً من المسلمين، ولما ازداد التهديد أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال فقال: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ پ ڀ چ[٦]. ثم فرضه فرضاً وأوجبه بقوله: چ ٱ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ پ ڀ ڀ

(١) مسند الإمام أحمد ج ٣٣٨/٣٢ حديث رقم ١٥٤٤٨

(٢) صحيح البخاري ج ٢٥/١٧/١

(٣) سورة االشعراء الآية (٢١٤) .

(٤) سورة المسد الآية (١) .

(٥) سورة االحجر الآية (٩٤) .

(٦) سورة الحج الآية (٣٩) .

ٺٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ[1].

ثم بدأت أولى مراحل القتال بإرسال السرايا إلى بعض القبائل حول المدينة التي كانت تقطع الطريق وتناوش المسلمين، ثم كانت سرية نخلة التي أصابت قريشاً في مقتل، حين هاجم المسلمون تجارتها القادمة من الطائف إلى مكة المكرمة فأخذوها وقتلوا بعض من فيها وأسروا آخرين، ثم بدأت المعارك فكانت غزوة بدر أكبر غزوة دموية انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً هز مكانة قريش وجعل اليهود يتحركون ضد المسلمين فأجلى النبي ρ بني قينقاع بعد غزوة بدر، ثم جاءت غزوة أحد بعد عام رداً على هزيمة قريش في بدر، فانتهى الأمر إلى هزيمة للكفار أولاً ثم إلى نصر محدود لم ينفع قريشاً، وتحرك بنو النضير بعد غزوة أحد فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت غزوة الأحزاب التي حشد لها حيى بن أخطب عشرة آلاف مقاتل من كثير من قبائل العرب جاء بهم إلى المدينة ليقضوا على الإسلام والمسلمين والنبي، انتهى الأمر برجوعهم خائبين. لم يحققوا نصراً وحكم على بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع النبي والمسلمين أثناء هذا الحصار الفاشل، وصدر الحكم بقتل مقاتليهم وتقسيم أموالهم وسبي نسائهم وذراريهم، ثم خرج النبي ρ مع عدد من المسلمين إلى مكة معتمرين فمنعتهم قريش ثم وقعت صلحاً معهم في الحديبية المكان الذي حبست فيه ناقة النبي ρ والذي جرت فيه المفاوضات التي جاءت بنودها كما يلي:

- أن يرجع النبي ρ ومن معه فلا يعتمروا الآن ويأتوا العام القادم للعمرة.
- أن تقع هدنة بين الطرفين لعشر سنين.
- من أراد أن يدخل في حلف قريش من القبائل فله ذلك ومن أراد أن يدخل في حلف المسلمين من القبائل فله ذلك، فدخلت بنو بكر محالفة قريشاً وحالفت خزاعة المسلمين.
- أن يردّ المسلمون لقريش كل من جاءهم مسلماً بغير إذن وليه، ولا ترد قريش من جاء مرتداً من المسلمين.[2]

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٦) .

(٢) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد ج٣/٢٩٤

فنقضت قريش عقدها الذي أبرمته مع المسلمين حين هاجمت مع حلفائها من بني بكر قبيلة خزاعة حلفاء النبي ρ والمسلمين فكان هذا الاعتداء سبباً في فتح مكة، ودانت قريش للإسلام، فكان هذا أول انهيار للمعادين للإسلام، لكن قبيلتي هوازن وثقيف لم تقبلا بهذا الاستسلام وقررتا الحرب، فغزاهم النبي ρ في غزوة حنين فهزموا فجاؤوا خاضعين مستسلمين للإسلام والمسلمين. وبعد غزوة تبوك التي وقعت في العام التاسع من الهجرة والتي غزا فيها المسلمون الروم فهرب الروم إلى الشام ولم تقع حرب ولم يبق من يحارب الإسلام بعد ذلك، جاءت كل قبائل العرب من كافة أنحاء الجزيرة العربية داخلة في الإسلام ومبايعة النبي ρ على ذلك، وزاد عدد تلك الوفود عن سبعين وفداً، نذكر منها:

وفد قبيلة عبد القيس:

كان النبي ρ جالساً بين أصحابه فقال لهم: (يطلع عليكم من هنا وفد هم خير أهل المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم أغفر لعبد القيس). ودخل الوفد على رسول الله ρ إلا عبد الله بن عوف الأشج الذي تمهل حتى أناخ ناقته وأعلفها، ثم لبس أحسن ملابسه ثم دخل على رسول الله ρ فسلم عليه فقال له النبي ρ: (إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة) ثم طلبوا من رسول الله ρ أن يأذن لهم في شرب القليل من الخمر فأبى، ومنعهم من الدباء والحنتم والنقير والمزفت وهي أواني صنع الخمر.[١]

وفد قبيلة بني حنيفة:

قدموا من اليمامة وفيهم مسيلمة الكذاب ودخلوا على رسول الله ρ فأسلموا إلا مسيلمة كان يقول: إن جعل لي الأمر من بعده بايعته، وجاءه النبي ρ في مكانه الذي هو فيه وقال له: (لو سألتني هذه القطعة ولن تعدو أمر الله فيك ما أعطيتكها وإني لأراك الذي فيك ما رأيت)[٢] فقد رأى ρ في المنام أنه يلبس سوارين من ذهب وقد أهمه أمرهما فقيل له أنفخهما فنفخهما فطارا

(١) المصدر نفسه ج٢٤٨/٣

(٢) صحيح البخاري ج ٣٦٩/١٢حديث رقم ٣٦٢٠

فأولهما كذابين فكان مسيلمة أحدهما.[١]

وفد قبيلة طيء:

قدموا وفيهم زيد الخيل فأسلموا وقال النبي ρ في حقه (ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيته دون ما قيل فيه إلا زيد الخيل) وسماه زيد الخير.[٢]

وفد قبيلة كندة:

جاءوا مقرين بالإسلام وفيهم الأشعث بن قيس وخبأوا لرسول الله ρ شيئاً ليعرفه. فقال: (سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والتكهن في النار)[٣].

وفد قبيلة همدان:

أسلموا على يد علي كرم الله وجهه وقال ρ لما بلغه إسلامهم (السلام على همدان، السلام على همدان، السلام على همدان وقال نعم الحي همدان ما أسرعها إلى الضر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد).[٤]

وفد قبيلة تجيب:

جاءوا مسلمين ومعهم صدقات أموالهم فقال صلى الله عليه وسلم (ردوها فأقسموها على فقرائكم) فقالوا: ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا فقال أبو بكر: ما قدم وفد من العرب مثل هذا فقال النبي ρ: (إن الهدى بيد الله فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان).[٥]

وفد قبيلة بني أسد:

قدموا مسلمين وفيهم ضرار بن الأزور وطليحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة وهم الذين نزل فيهم قول الله تعالى: چ ى ى ي ي چ[٦]. ونهاهم عن العيافة والكهانة

(١) صحيح البخاري ج١٣٣٥/٣ حديث رقم ٣٤٢٤

(٢) صحيح مسلم ج ٧٤١/٢ حديث رقم ١٤٣.

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، للشيخ محمد الخضري، ص ١٨٥ .

(٤) سنن البيهقي الكبرى ج ٦٩/٢ حديث رقم ٣٧٤٧.

(٥) عيون الأثرج ٣٠١/٢ لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد سيد الناس ط ١٩٩٢ بيروت .

(٦) سورة الحجرات الآية (١٧) .

وضرب الحصباء .

وهكذا صدق رسول الله ρ حين قال (قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب) فقد جاءت كل قبائل العرب خاضعة للإسلام ملتزمة به.

المطلب الثاني: وتدين لكم بها العجم

والعجم يومئذ هم الفرس والروم وبلاد ما وراء النهر وهى أذربيجان وخراسان وكرمان وسيجستان ومكران وغيرها من الذين لا يتكلمون اللغة العربية .

وفى حياة النبي ρبعث سرية إلى الروم في (مؤته) في جماد الأولى سنة ٨ من الهجرة ثم غزى تبوك في رجب سنة ٩ من الهجرة والتي هرب فيها الروم إلى الشام لما وصلها النبي ρوالمؤمنون ولهذا لم يقع قتال وأصبح الحجاز كله خاضعا للإسلام في حياة النبي ρ [١]

وفى عهد أبى بكر بعد حربه للمرتدين والانتصار عليهم بعث خالد بن الوليد إلى بلاد الشام التي كان يحكمها القيصر الرومانى ففتح ،بصري ،وأجنادين ، ومرج الصفر ، ودمشق ، وحمص ،واليرموك، والسامرة ، والجراجمة ، وبقية مدن الشام التي كان يحتلها الروم حتى ثغورها فدانت للإسلام

ثم وجهه إلى العراق التي كانت تحت الفرس والتي كان يعاونهم فيها المناذرة ففتح الأبلة والخريبة ويزند ورد ودرتا وأليس ثم الحيرة التي كانت مقرا للمنازرة فصالحوه على مئة ألف درهم سنويا وأن يكونوا عيونا للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعوانا

ثم واصل فتوحاته في بقية مدن العراق كبانقيا والفلاليج و الأنبار وعين التمر وتكريت والموصل فدانت للمسلمين [٢] .

وفى عهد عمر بن الخطاب مضت الفتوحات في ممالك الفرس فبدأ بالقادسية التي تجمع فيها الفرس فقاتلهم المسلمون بقيادة سعد بن أبى وقاص حتى قضى عليهم وواصل ففتح المدائن وجالولاء ونهاوند وهمدان ودخل بلاد

---

(١) انظر زاد المعاد في خير هدى العباد ج٣/٥٣٧ .

(٢) انظر البلدان وفتوحها وأحكامها لأحمد بن يحيى البلاذري ص ٢٨١ وما بعدها .

الفرس ففتحوا قم وقاشان والري وقزوين وزنجان وأزربيجان. وواصلوا فتوحاتهم حتى بلغوا ثغور الهند والسند وماجاورهما هذة هي بلاد العجم وحكام العجم دانوا للاإله إلا الله صدقا لما قال رسول الله ρووعداً [1] .

المطلب الثالث: أُحاجّ لك بها عند الله

قال رسول الله ρ لعمه أبي طالب: (يا عم قل لا إله إلا الله أُحاج لك بها عند الله)

من اعترف تعالى بالوحدانية والعبودية وأنه لا إله إلا هو فقد أصبح يملك حجة يدافع له بها رسول الله ρ عند الله طالما وحد الله وعبده بإخلاص، والرسول ρ يقول: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لم يشرك به) [2].

وفي سؤال الملكين في القبر للعبد: من ربك وما دينك وما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فالإجابة الوافية على سؤال الملكين حجة ينجو بها العبد من عذاب القبر طالما كان مؤمناً موحداً.

والإقامة على قبر الميت بعد دفنه ومناداته باسم أمّه: يا فلان اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت با رباً وبالإسلام ديناً وأن محمداً رسول، يقول الملكان لبعضهما بعد سماع هذا قوموا فقد ألهم حجته [3].

وقول رسول الله ρ للجارية التي كانت عند عائشة والتي سألها رسول الله ρ قائلاً: (أين الله..؟ قالت: في السماء) قال (من أنا ..؟) قالت: رسول الله قال رسول الله ρ لعائشة (أعتقيها فإنها مؤمنة)[4] فالحجة قامت بعد أن أقرت بوحدانية الله وشهدت للرسول ρ بالرسالة وعرفت أن الله في السماء. وقال النبي ρ لعدي بن حاتم وقد دخل عليه بعد أن رغَّبته أخته سفانة التي أسرها المسلمون وسرحها النبي ρ وأكرمها، رغَّبته في المجيء إلى رسول الله ρ

(١) المصدر نفسه صفحة ٢٩٣ ومابعدها .

(٢) البخاري ج٢٩٤/١٠ حديث رقم ٢٨٥٦

(٣) زاد المعاد ج١/ص٥٠٢

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج ٤٩١/١٥ حديث رقم ١٧٧٥٣.

والدخول في الدين فجاء تائباً فدخل على النبي ρ وعرفَّه بنفسه فقال: ((أتفر من لا إله إلا الله؟) (فهل علمت من إله إلا الله؟) قال: لا)[١]

فاعترف الكافر بها قبل أن يسلم.

المطلب الرابع: قتالهم على لا إله إلا الله

قال ρ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله فإن فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله).[٢]

لماذا يقاتلهم..؟

يقاتلهم لأنهم مخلوقون لعبادة الله وهذا حق واجب الأداء واجب الطاعة لقول ه تع الى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[٣]. يقاتلهم لأن الشيطان انتزعهم من الطريق السوي ووضعهم في طريق الهوى والضلال كما فعل بأبيهم آدم، فقتالهم على ذلك إعادة لهم إلى الطريق السوي ورحمة بهم في آن واحد، يقاتلهم لأن بعض الآباء يحرفون الأبناء عن فطرة الله التي فطرهم عليها فهم الذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فردهم إلى الطريق عن طريق الرسل والمصلحين والهداة خير لهم وإن أبوه وحاربوه وعادوه يقاتلهم لأن بعض الغواة الضالين كعمر بن لحي الذي غير ملة إبراهيم وحرف العقيدة وكان زعيماً في مكة جلب الأصنام من الشام ووضعها في الكعبة وعلم الناس عبادتها والضراعة إليها والذبح عندها والاعتقاد الشامل في نفعها وضرها، فلهذا عندما دعاهم رسول الله ρ وقال إن الإله واحد استنكفوا واستنكروا وقالوا متعجبين كما قال الله تعالى:

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[٤]. ودافع وا ع ن أصنامهم دفاعاً مستميتاً وماتوا وهم يعتقدون أن الأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص ٤٦٨

(٢) صحيح البخاري ج ١٧/١ حديث رقم ٢٥.

(٣) سورة الذاريات الآيات (٥٦-٥٧)

(٤) سورة ص الآيات (٥-٧) .

الله وقالوألاچ ِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ چ [1]. فقتالهم على ذلك واجب المسلم نحو الكافر والمتعلم نحو الجاهل والمهتدي نحو الضال لأن الذي هم عليه شر وضلال وفساد مصيرهم به إلى النار فقتالهم وردهم إلى الحق نعمة ورحمة ومآل إلى رضوان الله وجنته، والله يقول: [چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ چ[2]. وقال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ [3]. جاءت هذه الآية عندما كتم اليهود وصف رسول الله ρ الموجود في التوراة والإنجيل فكانت اللعنة عقاباً لهم على ذلك. فكيف بمن كتم توحيد الله والعلم الذي أنزله هداية للبشرية، فقتالهم ليس غاية في ذاته وإنما الدعوة تبدأ بالتعريف والتعليم والأدلة الدامغة تعريفاً بالله والرسل والملائكة والبعث بعد الموت والجنة والنار ليصلوا إلى قناعة أن المستحق للعبادة هو الله جل وعلا، فإن أبو دفعوا الجزية على أن لا يمنعوا سير الدعوة ولا يعارضوا حكم الله ولا يحولوا بين الناس والإيمان.

فقتالهم رحمة لأن بعض الجبابرة أرغموا الناس على عقيدة فاسدة بالقوة والتعذيب والتنكيل فقتال المتجبر المانع واجب المرسلين والمؤمنين ليردوا العباد إلى الله وقهر المعتدي فقد قال فرعون كما بين القرآن: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ چ[4]. فعند فرعون موسى υ فاسد لأنه يريد أن يحول العباد من عبادته إلى عبادة الله وهذا عند فرعون فساد فلهذا وجهت الدعوة لفرعون لأنه رأس هذا الشر والمانع لدعوة الله أن تنطلق فقتاله أولى لفتح طريق الدعوة لتبلغ الناس ويعرفوها حق المعرفة ثم بعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لأنه لا يُكْرَهُ أحدٌ على الإيمان بعد العلم، قال تعالى: چ ي

(١) سورة الزمر الآية (٣)

(٢) سورة فصلت الآية (٣٣) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٩) .

(٤) سورة غافر الآية (٢٦) .

چ[1].

فقتالهم حق حتى لا تقوم حجة على الله يوم القيامة: چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ چ[2]. وخزنة جهنم يوم القيامة يسألون الداخلين النار فيقولون: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ[3]. فمجيء الرسل ومجيء الآيات الدالة على وحدانية الله حق العباد على الله فإن تم هذا الواجب ولم يؤمنوا فقد قامت الحجة ووجب العقاب.

إن بعض الجبابرة قد قهروا الناس واستعبدوهم فأراد الله إخراجهم من طاعة العباد إلى طاعة الله والتي بمرور الزمن اعتادوها واستمرؤوها ولم يخرجوا منها فقتالهم نعمة ليذوقوا نعمة طاعة الله ونعمة توحيده وانشراح صدر المؤمن لهذا التوحيد والطاعة. قال الله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[4]. وصدق الذي الذي آمن بعد الشرك فقال:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً[5]

وقال آخر:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦) .

(٢) سورة المائدة الآية (١٩) .

(٣) سورة الملك الآيات (٨-١٠) .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٢٥) .

(٥) البيت للبيد بن ربيعة بن عامر الشاعر الجاهلي الذي أسلم وبعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم ، لم يقل شعراً بعد أن أسلم إلا هذا البيت توفي بالكوفة (ت ٦٦١ هج) انظر الأعلام للزركلي ٢٤٠/٥ والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج٢٤٥/٤ .

دخ ولي تح ت قول ك ي ا عب ادي وأ ص يرت أحم د لـــ ي نبي اً [١]

المبحث الرابع

المطلب الأول: مآل المتمسّكين بلا إله إلا الله

التثبيت:

قال تعالى: چڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ[٢].

التثبيت: الربط على القلب فلا يتزحزح ولا يضطرب فيضيع منه الإيمان، والله تعالى يثبت الإيمان في القلوب المؤمنة فلا تضطرب لهذا تجد أهل الإيمان في وقت الشدائد كالجبال الرواسي ثباتاً وقوة.

وفي القرآن ربط الله تعالى قلوب أصحاب الكهف المؤمنين فقال تعالى: چۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ[٣]. دخل قلوبهم الإيمان وزادهم هداية في الطريق، ثم ربط الإيمان في هذه القلوب وقواها فأصبحت ثابتة لا تهزها الخطوب والمحن، بل تستقبل كل ذلك بقوة وعزيمة. وقال المؤمنون لفرعون وقد هددهم بالصلب والقتل فقالوا: چۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ[٤]. هذه مقالة فئة آمنت لتوها فاستهانت بالتهديد والقتل، ورغبت في الآخرة أكثر من رغبتها في الحياة الدنيا.

وكذلك أم موسى قال الله تعالى عنها وقد وصل صندوق موسى إلى منزل فرعون. چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ چ

---

(١) نسب الألوسي للقاضي عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ ﴾ ج٣٤٣/٤ ونسب إبن عاشور للإمام الشافعي في تفسير (كأنهن بيض مكنون) .

(٢) سورة إبراهيم الآية (٢٧) .

(٣) سورة الكهف الآيات (١٣-١٤) .

(٤) سورة طه الآيات (٧٢-٧٥) .

(١). فثبتها تعالى وهي تعلم أن موسى بين يدي فرعون، وأيقنت بحفظه ورده إليها فأرضعته علناً بلا خوف، وتؤجر على رضاعته.

وفي عهد النبوة بعد غزوة أحد جاء حادث الرجيع الذي بعث فيه رسول الله ρ ستة من الصحابة ليعلّموا قبيلتي عُضَل وقارة القرآن فاستصرخوا بني لحيان فتبعوا هؤلاء الصحابة فقتلوا أربعة منهم وباعوا زيد بن الدّثُنّة وخبيب بمكة لأنهما في غزوة بدر قتلا بعض المشركين فباعوهما لأهل القتلى ليقتصوا منهما. أما خبيب فسجنوه ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه واجتمع حوله نساء ورجال المشركين ليشهدوا قتله فلما أرادوا صلبه طلب أن يسمحوا له أن يصلي ركعتين فتركوه فصلاهما فلما أتمهما قال: والله لولا أن تقولوا إن ما بي جزع لزدت ثم دعا عليهم فقال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً ثم قال:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم يبدئ العداوة جاهداً ... عليَ لأني في وثاق مضيع

وقد قربوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مضجعي

فذا العرش صبرني على ما يراد ... فقد بضَعوا لحمي وقد يأس مطمعي

وقد خيروني الكفر والموت دونَهُ ... فقد ذرفت عيناي من غير مجزعي

وما بي حذار الموت إني لميت ... وأنَ إلى ربي إيابي ومرجعي

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

(١) سورة القصص الآية (١٠) .

ولست بمبدٍ للعدو تخـشـعاً ولا جزعاً إني الى الله مـرجعي [١]

وقال له أبو سفيان: أنشدك الله يازيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال لا والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي)[٢]. ثم صلبوه.

والله تعالى وعد أهل الإيمان بالتثبيت عند الموت فقال: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ[٣].

المؤمنون عند الموت تحضرهم الملائكة تبشرهم وتطمئنهم ألا تخافوا مما أنتم مقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما فارقتم من الأهل والأبناء والزوجات والأمهات والآباء والأموال في الدنيا فنحن نتولى أمركم وتقبض روحه فرحاً مستبشراً فهذا هو التثبيت يمضي المؤمن إلى ربه مطمئناً منشرح الصدر.

وكذلك يثبت الله المؤمن عند سؤال الملكين في القبر فالنبي ρ بيَّن أن العبد إذا وضع في القبر جاءه الملكان وأقعداه وسألاه: ما ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ چ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ[٤]. فلا يضطرب ولا يخاف ويجيب الملكين بثبات. والنبي ρ كان إذا دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل).[٥]

ومعاينة الموت والثبات عنده وعند ساعات القتال من أعظم ما أبتلى به الله عباده صبراً على البلاء، ورغبة في الآخرة، وأنها خير من الدنيا وصدقاً في لقاء الله. كما وقع لخبيب، وما قاله كثير من الصحابة وهم يتقبلون الموت، إذا

---

(١) زاد المعاد ج٣/٢٤٥

(٢) السيرة لابن هشاج ج٣ ص ١٣٦

(٣) سورة فصلت الآيات (٣٠-٣١) .

(٤) سورة إبراهيم الآية (٢٧) .

(٥) مسند أبي داود ج ٢٣٤/٩ حديث رقم ٢٨٠٤.

وقع بهم.

بعد معركة أحد قال زيد بن ثابت بعثني رسول الله ρ أطلب سعد بن الربيع، وقال أن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له كيف تجدك؟ قال فجعلت أطوف بين القتلى حتى وجدته وبه رمق وفيه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت: يا سعد إن رسول الله ρ يقرأ عليك السلام ويقول: أخبرني كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله ρ السلام قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة. وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ρ وفيكم عين تطرف. وفاضت روحه.(١)

هكذا الثبات، رجل بينه وبين الموت ثوان، يرد التحية ويحدث عما يجد، ويوصي قومه خيراً برسول الله ρ.. ثم يمضي إلى الآخرة مطمئناً. وعبد الله بن رواحة τ خارج إلى الجهاد إلى معركة مؤتة، وهو القائد الثالث فيمن عيَّنهم الرسول ρ لإدارة المعركة، زيد، وجعفر ثم عبد الله بن رواحة وخرج الرسول ρ والمسلمون لوداع الجيش ودعوا لهم بالنصر والعودة سالمين غانمين، لكن عبد الله بن رواحة كانت له أمنية عندما سمع دعاء المودعين فقال:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزةً بحربةٍ تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مرّوا على جدثي يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وحقق الله لعبد الله أمنيته، فقد استشهد، وعاد الجيش منسحباً ولم يعد عبد الله معه، تمنّى ولقيَ ما تمنّاه ثابتاً مطمئناً (٢).

قال رسول الله ρ وهو يوصي أصحابه على الهجوم على جيش قريش بعد المبارزة التي بدأت في أول غزوة بدر والتي قتل فيها المسلمون مبارزي قريش قال لهم رسول الله ρ (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) فقام عمير بن الحمام وقال: بخ بخ، وسأله الرسول ρ فقال: (ما يحملك على قول بخ

(١) صحيح مسلم ج ١٣٩/٢.

(٢) انظر ابن هشام ج٣٧٣/٢

بخ؟) قال عمير لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال له رسول الله ρ (فإنك من أهلها) فأخرج ثمرات من قرنه ليأكلهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى ما معه من تمر ثم قاتلهم حتى قتل.[1]

المطلب الثاني: استجابة الدعاء

قال تعالى: [چ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڎ ڎ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے چ[2].

هذه استغاثة نبي الله ذا النون من داخل بطن الحوت شدة ما بعدها شدة وكرب ما بعده كرب فاستغاث بهذه الكلمة (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين). فجاءته النجاة وجاءه الخلاص كأسرع ما يكون، فقذفه الحوت في البر وأنبت الله عليه شجرة اليقطين حتى يبرأ من انسلاخ جلده الذي أثر حر بطن الحوت فيه ثم عاد إلى قومه.

ووعد الله تعالى أن من دعا بدعوة ذي النون أن يستجيب له (وكذلك ننجي المؤمنين). فلعظمة الكلمة ومكانتها كانت الإجابة السريعة والرحمة العاجلة. والنبي يرينا دعاء الكرب والشدة فيقول: (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع والأرض رب العرش الكريم)[3] فما دعا به مكروب إلا فرج الله كربه، فلا إله إلا الله مفتاح أبواب الرحمة واستجابة دعوة من دعا.

وفي صلاة الجنازة شفاعة للميت من أخوانه المسلمين، يدعون الله له بالمغفرة شاهدين على إيمانه بلا إله إلا الله وتمسكه بها حتى الموت .. ولهذا جاء الدعاء إلى الميت في الصلاة هذه الشهادة:

(اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك كان يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت به أعلم اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه وإن

---

(١) زاد المعاد ٩٦/٢.

(٢) سورة الأنبياء الآيات (٨٧-٨٨) .

(٣) صحيح مسلم ج ٢٦٤/١٣ حديث رقم ٤٩٠٩.

كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده)[١]. وروى أبو هريرة عن النبي ρ قال: (ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش)[٢]. وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله ρ (ليس شيء إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول لا إله إلا الله، ودعاء الوالد)[٣]

قال صاحب كتاب نيل الأوطار بسنده عن رسول الله ρ (إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان بن فلانة. فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل: أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت با ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته).[٤]

المطلب الثالث: الفلاح (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)

أفلح إن صدق: والفلاح دخول الجنة، وهذا ما بينه الحديث الآتي:

روى البخاري بسنده عن طلحة بن عبيد الله أن إعرابياً جاء إلى رسول الله ρ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: (الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً) قال فأخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام؟ فقال: (شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً) قال: فأخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة قال: فأخبره رسول الله ρ شرائع الإسلام. قال والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله شيئاً. فقال رسول الله ρ: (أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق).[٥] وكثيرون الذين أفلحوا بدخولهم في هذا الدين

(١) موطأ مالك ج ٣٢٠/٢ حديث رقم ٧٧٥.

(٢) الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١٦٩/٩.

(٣) الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١٦٩/٩.

(٤) نيل الأوطار ج ٢٨٢/٦.

(٥) البخاري ١٧٩٢/٦٦٩/٢.

وتركهم الوثنية والأصنام والشرك وراء ظهورهم.

ثمامة بن أثال زعيم قبيلة بني حنيفة، آمن بمسيلمة الكذاب وخرج بأمره ليقتل النبي ρ فقبضه المسلمون وربطوه بسارية من سواري المسجد، فمر عليه النبي ρ فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي خير يا محمد. إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه ثم مر به مرة أخرى فقال له مثل ذلك، فرد عليه مثل ما رد أولاً، ومر به ثالثة فقال له مثل ما قال، فرد عليه كذلك، فقال النّبيّ ρ: أطلِقوا ثمامة، فأطلقوه، فذهب إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم جاءه فأسلم وقال: والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك فأصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان دِيْنٌ أبغضَ إليَّ من دِينِك فأصبح دِينُك أحَبَّ الأديان إليَّ. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فبشره رسول الله ρ وأمره أن يعتمر فلما قدم قريش قالوا: صبأت يا ثمامة قال: لا والله ولكني أسلمت مع محمد ρ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ρ، فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله ρ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليهم حمل الطعام. ففعل رسول الله ρ.[1]

مقتل كعب بن الأشرف :

كعب زعيم بني النضير، ثري، ووجيه، كذاب، آذى المسلمين ورسول الله ρ حتى قال: (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله). فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: (نعم). قال: فأذن لي أن أقول شيئاً قال: (قل) قال فذهب إليه يحتال، فأراه أنهم تعبوا من رسول الله ولكنهم يريدون أن يصلوا معه إلى نهاية الأمر، فطلب منه أن يسلفه وسقا من تمر، فقال: أرهنوني نساءكم فقال: نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ فقال: فأرهنوني أبناءكم قال: فيُسَبُّ أحدُنا بأنّ ابنه مرهون لوَسَقَينِ من تمر قال: نرهنك سلاحنا، فقبل، وجاء أبو نائلة ففعل كما فعل محمد بن مسلمة واتفقا على رهن السلاح وعادا إليه في ليلة مقمرة ومعهما السلاح، يحسبه للرهن، فناديا ه فنزل إليهما .. فلما تمكنا منه حزَّا رأسه وجاءا به رسول الله ρ، فلما رآهما،

(١) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ج٩٥/١

قال: (أفلحت الوجوه) قالوا: ووجهك يا رسول الله ورموا وجه الطاغية بين يديه، فحمد الله على قتله.[١]

النجاشي

كتب النبي ρ بعد صلح الحديبية رسائل إلى الملوك وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة يدعوه إلى الإسلام. فأخذ كتاب النبي ρ ووضعه على عينه، ونزل عن سريره إلى الأرض، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب وكتب إلى النبي يقول: إلى محمد رسول الله ρ من النجاشي أصحمه سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته.

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما قلت تفروقًا إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت بها إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقاً وصدقت وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه رب العالمين).[٢] وجاء جبريل بخبر موت النجاشي وصلى عليه رسول الله ρ صلاة الغائب، ولهذا كان من أهل الجنة.

(١) أنظر الرحيق المختوم ٢١٩.

(٢) أنظر الرحيق المختوم ٣٢٠.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أقول موصياً ومذكراً. أنَّ رسالة لا إله إلا الله للبشرية ما زالت قائمة، وما زالت تُؤتي أُكُلها، وتزداد كل يوم رسوخاً وقوة، وتتسع كل يوم أرضاً ونفوساً، ولا تزال الحرب بينها وبين المشركين بكل قبائلهم وأصنافهم قائمة، محاولين إطفاء نورها وإسكات صوتها وإضعاف قوتها، وما أفلحوا في شيء مما أرادوا، وأنفقوا الأموال الطائلة في حربها، فضاعت الأموال وانهزمت الجيوش، وارتفعت راية الإسلام، وبقيت الحسرة في قلوبهم وبقي قول الله تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چ[1]. حقاً وصدقاً.

مع كل هذا، عزيمة الأعداء في حرب الإسلام والمسلمين لم تهن ورغبتهم في إقصاء الإسلام لم تفتر، ولا يزالون يحاربون مجتمعين، ولا نزال نحن متفرقين شعوباً وأمماً وقبائل وعقيدة ودياناً وتشريعاً، وعبادة... واستغلوا تفرقنا، فوسعوا الهوة بين المسلمين ومزقوهم فرقاً وشيعاً، وبلاداً وأمماً فبعضنا ضدهم وبعضنا معهم، وأصبح فهم البعض للإسلام الصلاة والصيام والعبادة، ونسوا وتناسوا ما عداه من جهاد، وإعلاء لكلمة الله وتبليغها للناس ونشرها في الآفاق.

في بلاد الإسلام وزارات لشؤون الدين، وكليات لتخريج الدعاة، والوزارات انشغلت بغير ما أسست وأنشئت له وصرفت ما أعد لنشر الدعوة مرتبات للموظفين والعمال والعربات والاتصال والأسفار وأعطوا للدعاة الأقل الذي لا يشجع علي نشر الدعوة ولا على الاستمرار في الأداء.. فلذا فقد الدعاة الرغبة وهجر بعضهم الوظيفة، ولولا جهد المؤمنين المخلصين بأموالهم وعلمهم لما قامت دعوة ولا انتشر الإسلام. إن كليات الدعوة يقبل لها الأقل حصيلة علمية في حين أن كليات الطب والصيدلة والهندسة وغيرها يقبل فيها الحاصلون علي الدرجات العلا والحصيلة العلمية العالية، ولم نضع الدعوة في المرتبة العالية ولا ضمن الكليات الراقية فلم يقبل عليها صاحب رغبة ولا صاحب درجة علمية رفيعة، فقل أداؤها وعطاؤها. إن الله تعالى اصطفى

(١) سورة الصف الآية (٨) .

لدعوته خيار الخلق لينشروا هذا الدين وليجاهدوا فيه فأتموه وأكملوه كأحسن ما يكون الإكمال والتمام وتركوا في سجل التاريخ أعظم الملاحم والدروس والأقوال والأفعال، وأصبحوا القدوة للناس، فلنضع الدعوة حيث وضعها الله تعالى ولنختر لها أعظم الدعاة وليقم بها الطبيب والمهندس والصيدلاني وغيرهم ولنجعلها مادة في كل كلية ولنجعلها من أولويات الأمة ومن أعظم ما تقوم به، وما تؤديه من رسالة وعمل. واضعين نصب أعيننا قوله تعالى: ﴿ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ﴾[1]. وليكن شعار الدعاة: ﴿ ڎ ڈ ڈ ﴾.

(١) سورة فصلت الآية (٣٣) .